مجلة الدراسات اللغوية والأدبية
SUST Journal of Linguistic and Literay Studies
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

غموض معنى الشرطية في الحرف "أما"

زكي عثمان عبد المطلب[1] – سعد محمد حسين يوسف[2]– جامعة النيلين– أستاذ مشارك[1]– كلية الآداب – قسم اللغة العربية

المستخلص

تدرس هذه الورقة ما يذهب إليه جمهور النحاة في قولهم بوجود معنى الشرطية في الأداة "أما" وقد استوقف الدراسةَ غموضُ هذا المعنى في هذه الكلمة؛ لأنه قام على تأويل النحاة بافتراضهم بإنابة هذا الحرف عن أداة الشرط وفعله المحذوفان، وتقديرهما عندهم بعبارة: " مهما يكن من شيء" وهذا ما أخذ ينظر فيه البحث من خلال تتبعه لأقوال النحاة واللغويين في هذه الأداة، واستعمالها في نصوص اللغة خاصة النص القرآني، وقد اتبع البحث المنهج الوصفي، وانتظم هيكل الدراسة بتقسيمه إلى أربعة مباحث: الأول يتناول أدوات الشرط ومعانيها، وسمات جملتها، والمبحث الثاني يدرس إدراج النحاة لـ "أما" ضمن أدوات الشرط والحجة التي استندوا عليها، والمبحث الثالث يتناول الصيغة اللفظية لهذه الأداة ومعانيها التي تفيدها في الجملة، وأما المبحث الرابع فيدرس أسلوبية جملة "أما" وخصائصها التركيبية. وتبرز نتائج هذا البحث في مجملها غموض فكرة المعنى الشرطي في "أما" وربما عدم سلامتها، ومن الأدلة المصحوبة في هذه النتائج أن المعنى الشرطي في "أما" ارتبط بعبارة تخيلية تولدت من الصنعة النحوية التي قدّرت جملة بها عمومية في دلالتها، مما يجعلها بعيدة في ارتباطها بخاطرة ذهنية المتكلم في استخدامه للجملة الشرطية في الواقع اللغوي، ومما يُضعف فكرة الشرطية في "أما" – كما يقول بعض النحاة – أنها إذا حذفت تبقى جملتها على سلامتها وصحتها اللغوية، بينما تعد أدوات الشرط الأخرى رابطة بين جزأي الشرط، فإذا حُذفت منها تفككت الجملة الشرطية، وفقدت صحتها.

كلمات مفتاحية: جملة –أداة– النحاة–أسلوب.

Abstract

This paper studies what the general grammarians say in their saying that there is the meaning of the conditional in the tool “Amma.” The study stopped the ambiguity of this meaning in this tool; Because it was based on the grammarians’ interpretation of delegating this tool to a conditional tool and its verb are omitted from their estimation: “whatever it is.” This is what the research looked at by following the statements of grammarians and linguists in this tool, and its use in language texts. The research followed the descriptive method, and the structure of the study was organized by dividing it into three sections: the first deals with the conditional tools and their meanings, and the features of their sentence, and the second section studies the grammarians’ inclusion of “Amma” within the conditional tools and the argument on which they relied, the third topic deals with the verbal formula of this tool and its meanings that benefit it in the sentence, and the fourth topic studies stylistics The sentence “Amma” and the results of the research that he reached tend to say ambiguously the idea of the conditional meaning in “Amma” and perhaps its lack of integrity, and among the evidence in these results is that this conditional meaning in “Amma” is associated with an imaginary phrase that was born from grammatical workmanship and includes generality, which makes it Far from the speaker’s mind in his use of

the conditional sentence, and that what weakens the idea of the conditional - as some grammarians say - is that if it is omitted, its sentence remains intact and linguistic correct, while the conditional tools are a link between the two parts of the condition. And if deleted conditional sentence is removed.

Key words: sentence- tool -grammarians-

المقدمة: جمع النحاة الأدوات الشرطية في اللغة العربية، وأكثرها قُدِّمت عندهم كعوامل جازمة، ولم يكتفوا بإبانة أثرها الإعرابي، حيث عرضوا التفاصيل المتعلّقة بمعاني أدوات الشرط، وبيّنوا الأحكام المتصلة بالجملة الشرطية، والجملة الجوابية المسماة عندهم أيضًا بجملة الجزاء، التي فصلوا فيها عددًا من أحكامها مثل بيانهم للمواضع التي تقترن هذه الجملة بالفاء الرابطة، وجاء منهم عرض مفصل للحكم النحوي عند اجتماع الجملة الشرطية، وجملة القسم في تركيب واحد. ويلاحظ أن أدوات الشرط غير الجازمة، مثل: "إذا" و"لو" و"لولا" و"لما" لم تُعرض في مؤلفات القدماء متجمعة بل درست على نحو متفرق، ومن ضمن هذه الأدوات الشرطية أدخلوا الحرف "أمّا" ولكن تبدو اعتبارية معنى الشرطية في هذا الحرف غير واضحة، وربما غير مقنعة لسببين، الأول: أنه لا توجد –من حيث ظاهر الألفاظ والمعنى المفهوم –جملتان تتعلقان ببعضهما بعلاقة الشرط والجزاء، السبب الثاني للغموض هو افتراض النحاة بوجود أداة شرطية مخفية مع فعلها قدروا أن نتخيلها بعبارة (مهما يكن من شيء) . وعليه أخذت هذه الدراسة تبحث في الغموض في معنى الشرطية في الحرف "أمّا" وكان منهجها التقسيمي بتنظيم مادة البحث وفقًا لهذه المباحث: المبحث الأول دراسة أدوات الشرط وبيان معانيها وسمات جملتها، المبحث الثاني: يدرس إدراج "أمّا" ضمن أدوات الشرط، والغموض الذي يحيط بمعناها الشرطي، وحجة النحاة في ضمها لأدوات الشرط، المبحث الثالث: يتناول الهيئة اللفظية لهذا الحرف والدلالات التي يفيدها في الجملة، أما المبحث الأخير فيعرض السمات الأسلوبية لجملة "أمّا". ومن أهم ما توصل إليه البحث من نتائج أن العبارة التأويلية التي يقول النحاة إن "أمّا" فقامت مقامها ونابت عنها وهي جملة "مهما يكن من شيء" تبدو وكأنها عبارة تخيلية تولّدت من الصنعة النحوية وبها عمومية لفظية ومعنوية، مما يجعلها بعيدة الارتباط بخاطرة ذهن المتكلم في استخدامه للجملة الشرطية في الواقع اللغوي، فتكون بهذا سببًا من أسباب غموض معنى الشرطية في "أمّا". وأهم توصية أعقبت نتائج البحث هي الدعوة إلى إعادة النظر في إدراج "أمّا" ضمن أدوات الشرط؛ لغموض المعنى الشرطي فيها، وربما عدم سلامته.

أسئلة البحث:

1- لماذا افترض جمهور النحاة معنى الشرطية في الأداة "أمّا"؟.
2- هل معنى الشرطية في هذه الأداة واضح ومباشر أم أنه لا يخلو من الغموض؟
3- افتراض جمهور النحاة لإنابة "أمّا" عن جملة: " مهما يكن من شيء" هل يزيد الغموض في شرطية "أمّا" ؟ أم يوضحه ويجلوه؟
4- لماذا رفض بعض النحاة الزعم بوجود معنى الشرطية في "أمّا"؟
5- ما هي دلالاتها ومعانيها الأخرى ،وأيُّها أظهر وأبين؟ هل معنى الشرطية أم غيرها من المعاني؟
6- ما هو النظام الأسلوبي لجملة "أمّا" وما هي دقة النحاة القدماء في استخلاص أحكامه؟

أهمية البحث :

1- التثبت من حقيقة معنى الشرطية في الأداة "أمّا".

2- عرض حجة القائلين بشرطيتها والرافضين ، والترجيح بينهما.

3- إظهار المعنى الأوضح لهذه الأداة من خلال استقراء النصوص القرآنية.

المبحث الأول: أدوات الشرط : معانيها، وسمات جملتها:

أدوات الشرط، ودلالة معانيها.

يتعرّض النحاة لمعظم أدوات الشرط من خلال تفصيلهم لجوازم الفعل المضارع، حيث يذكرونها بعد ما يجزم فعلًا مضارعًا واحدًا من الأدوات: (لم، لّما، لام الطلب، لا الناهية) إذ يعرضون ما يجزم فعلين مضارعين، وهي أدوات الشرط الجازمة، قال ابن مالك: " من عوامل الجزم أدوات الشرط" (ابن مالك، 2001م،2/ 386) وقد حددوها –عالًبا– في إحدى عشرة أداة، هي: (إنْ، إذما، مَنْ، مهما، ما، حيثما، أينما، كيفما، متى، أيان، أي)

وقد أوضحوا أن هذه الأدوات الشرطية كلمات وضعت لتدل على التعليق بين جملتين، وذكروا الوظائف المعنوية لهذه الأدوات الشرطية موضحين لها في ست مجموعات: الأولى – أدوات وضعت لمجرد تعليق الجواب بالشرط، وهو ما تقوم به الأداتان: "إنْ" و"إذما"، المجموعة الثانية– أدوات وضعت للدلالة على من يعقل ثم ضُمّنت معنى الشرط، وهو ما تقوم به الأداة "مَنْ" المجموعة الثالثة– أدوات وضعت للدلالة على ما لا يعقل ثم ضمنت معنى الشرط، وهذه وظيفة الأداتين: "ما" و"مهما" المجموعة الرابعة– أدوات وضعت للدلالة على الزمان ثم ضمنت معنى الشرط، وقد اختصت بهذا الأمر: "متى" و "أيان" المجموعة الخامسة– أدوات وضعت للدلالة على المكان ثم ضمنت معنى الشرط، وتشمل: "أين " و "أنّى" و"حيثما" المجموعة السادسة– أداة شرطية تكون دلالتها بحسب ما تضاف من هذه الأنواع الأربعة: الدلالة على العاقل، أو الدلالة على غير العاقل، أو الدلالة على الزمان، أو الدلالة على المكان (الأزهري، د، ت /248/2) وقد أوضح النحاة خصائص أدوات الشرط، فأبانوا أن لها الصدارة في الجملة، وأنها تجعل زمن فعل شرطها وجوابها مستقبلًا خالصًا، و أنها لا تحذف من جملتها. ومما سبق يتضح أن أدوات الشرط، تضم حروفًا هما "إن" و"إذ ما" وأسماء هي: "من" و"ما" و"مهما" وبقية الأدوات ظروف. ويعد النحاة الأداة "إنْ" هي أصل أدوات الشرط، وأمها لأن الجزاء بها يكون في كل ضرب (المبرد، 21994 م، 2/ 48) ويلاحظ أن تلك الأدوات الإحدى عشرة قد جاءت مجموعة عند النحاة من خلال عملها في الجزم الذي فصلوا في الكثير من أحكامه، ولكنهم أتوا لها أيضًا بالكثير من الجوانب الأسلوبية، وتبقت مجموعة الأدوات الشرطية غير الجازمة التي عرضت في أبواب نحوية متفرقة ذكرها بعض النحاة وأهملها بعض آخر. وتشمل هذه الأدوات الشرطية غير الجازمة "إذا" التي تناولها النحاة ضمن أدوات الشرط بحديث عارض وفصلوا فيها القول في باب الظرف لأنها تستعمل –غالًبا– ظرفًا لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط، ومن هذه الأدوات الشرطية غير الجازمة "لو" التي عقد النحاة بًابا منفصلًا يوضح أحكامها عندما تستخدم أداة شرط، وفيها يقول المعربون إنها (حرف امتناع لامتناع) ومنها "لولا" التي يتناولها النحاة بحديث عارض يبين استخدامها أداة تحضيض أحيانًا وأداة شرط أحيانًا، ويقول فيها المعربون (إنها حرف امتناع لوجود) ويقصدون بذلك أن جوابها امتنع لوجود الشرط، ومن هذه الأدوات "كلما" التي تفيد في استخدامها الشرطي تكرار الجواب كلما تكرر الشرط، ومن هذه الأدوات الشرطية غير الجازمة "لّما" حيث تكون بمعنى "حين" وتسمى ب" لما" الحينية" وتفيد تعليق الجواب على الشرط. (عيد، 2009م، 307– 311)

مفهوم معنى الشرطية النحوية، وسمة تكوينها من التركيب الفعلي:

الشرطية ا لنحوية تعني تعليق أمر على آخر وجودًا وعدمًا، وارتباطه به بنوع ارتباط، يغلب أن يكون السببية والمسببية، فالشرط ما يقع فيه الشيء لوقوع غيره(المبرد، 45/2) وهذا يعني أن وقوع الثاني متوقف على وقوع الأول، فإذا وقع الأول وقع الثاني، ففي مثل قولنا: (إن زرتني أكرمتك) يكون الإكرام متوقفًا على حدوث الزيارة، ويتجلّى هذا المعنى الشرط، في مثل قوله تعالى:﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ (البقرة: 191)

ووفقًا لهذا المعنى الشرطي فصل النحاة في طبيعة الجملة الشرطية بجزأيها: الشرط وجوابه موضحين أن الشرط لا يصح إلا بالأفعال، وسبب ذلك في الشرط أنه علّة وجود الجواب وسببه، والأسباب لا تكون بالجوامد بل تكون بالأفعال، حيث إن الأسماء ثابتة موجودة ، ولا يصح تعليق وجود شيء على وجودها وعلة وجوب الفعلية في الجواب أيضًا؛ أنه شيء موقوف دخوله في الوجود على دخول شرطه، والأفعال هي التي تحدث وتنقضي، ويتوقف وجود بعضها على بعض (ابن يعيش، د.ت، 2،9/9)

وينوّه النحاة إلى المعنى السببي هو الغالب في العلاقة المعنوية بين الشرط والجزاء، ولكنهما قد يخرجان عن هذا الأصل؛ فلا تكون الرابطة بينهما هي الرابطة السببية، وهو ما يمثل السامرائي بعدد من الآيات القرآنية(السامرائي، 4/ 433، 434) منها قوله تعالى:﴿ ... فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران : 32) فالله لا يحب الكافرين سواء تولى أولئك أم آمنوا ، فليس الثاني مشروطًا بالأول ولا مسببًا منه، وفي هذا الجانب يردد عباس حسن قول النحاة، بأن الشرط ملزوم دائمًا، والجزاء لازم، سواء أكان الشرط سببًا أم غير سبب، فمن أمثلة السببية قولنا: (إن تطلع الشمس يختف الليل) ومن أمثلة غير السببية قولنا: (إن كان النهار موجودًا كانت الشمس طالعة) فوجود النهار ليس سببًا في طلوع الشمس (حسن، 4/ هامش 422)

وبتأملهم في جملة الشرط والجزاء استنبطوا أحكامًا تبين سماتهما كالذي وضحوه في تركيب الشرط بأنه يكون جملة فعلية غير طلبية، فعلها متصرفٌ، ماضٍ مجرد من حرف النفي، ومن الحرف "قد" أو مضارع مجردٌ من حروف التنفيس ومن حروف النفي عدا "لا" و "لم" حيث يجوز اقترانهما به في الجملة الشرطية، واستنبطوا أيضًا سمات جملة الجزاء موضحين بأنها تصلح لكل الأنواع فتكون جملة فعلية أو اسمية، خبرية أو طلبية ولكن الأصل أن تكون جملة الجزاء صالحة لجعلها جملة جزاء " وإذا جاء الجزاء على غير ما هو الأصل وجب اقترانه بالفاء؛ ليعلم ارتباطه بالشرط، وتعلق أداته به؛ لما لم يكن على وفق ما يقتضيه الشرط" (ابن مالك، 3/ 394)

وفي ضوء ما حدده النحاة في العلاقة المعنوية بين فعل الشرط وجوابه، وأدوات الشرط الرابطة بينهما، يتضح للتأمل للجمل الشرطية وأدواتها وضوح مكونات أسلوب الشرط بأركانه الثلاث: أدوات الشرط، جملة الشرط وجملة الجزاء، حتى ولو كان استخدام الأداة في اللغة استخدامًا مشتركًا، فتارة تكون في المعنى الشرطي وتارة تكون في غيره من المعاني والمقاصد، فـ" من" مثلًا قد تكون اسم شرط، وقد تكون اسم موصول، وقد تكون اسم استفهام، ويمكن أن نمثل لهذا بقوله تعالى: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد:38) فـ " من" الخاصة بالعقلاء استخدمت في المرة الأولى لتكون اسم موصول ويدل على ذلك معناها في الـ تركيب فهي بمعنى "الذي" ولذا جاء الفعل المضارع بعدها مرفوعًا، أما الثانية فقد استخدمت لتكون اسم شرط ويتضح هذا من ربطها بين جملة الشرط المكونة من الفعل (يبخل) المجزوم بها وفاعله، وجملة الجواب (إنما يبخل ....) ونذكر مثالًا آخر في استخدام الأداة في المعنى الشرطي أو في وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)﴾ (البقرة: 130) فـ" من" الأولى في هذه الآية: اسم استفهام معناه

النفي والإنكار، ولذا لم يعمل في الفعل المضارع الذي بعده (يرغب) فجاء مرفوعًا، ويستنبط المعربون هذا الإعراب لـ "من" دون عناء وذلك لأن التركيب الذي استخدمت فيه يوضح هذا المعنى، بينما يوضح تركيب جملة "من" الثانية في هذه الآية أنها اسم موصول. ولم يلتبس كلا الإعرابين لـ "من" مع "من" الشرطية؛ لأن التراكيب توضح هذا الأمر.

ومما سبق نخلص إلى أن النحاة جمعوا من استقراء اللغة وتراكيبها أدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة، وحددوا السمات المعنوية والتركيبية للأسلوب الشرطي، بما يقنع باستخدام هذه الأداة في المعنى الشرطي دون غموض في جملتها، حتى ولو كانت الأداة تستخدم في معنى الشرطية وفي غيره.

المبحث الثاني: إدراج "أمّا" ضمن أدوات الشرط:

أدرج النّحاة الحرف "أمّا" ضمن أدوات الشرط، ولكنهم ذكروا فيه قولًا يختلف عن كل حروف الشرط وأسمائه، حيث تكون الدلالة في أدوات الشرط صريحة دون تقدير ولا تأويل، ويليها –غالبًا– ملفوظًا فعل الشرط، ولكن مع الأداة "أمّا" كان لهم نهج مختلف، فقولهم الذي ذهب إليه جمهورهم في هذا الحرف" أنّ معنى الشرط فيه مؤوّل، ويقدّر بعبارة " مهما يكن من شيء" ويوضّحون من خلال هذا التقدير أن الشرطية ليست في "أمّا" بل في حرف الشرط المحذوف "مهما" المحذوف ومعه فعل شرطه، وقد ناب عنهما معًا حرف الشرط "أمّا" (المرادي، 1992م،524)

وقد ابتدع هذه الفكرة إمام النحاة سيبويه وهو يحلل عبارة " أمّا عبدُ الله فمنطلق" إذ يقول في تفسيرها : "أمّا" فيها معنى الجزاء والمقصود " عبد الله مهما يكن من أمره فمنطلق" (سيبويه، د. ت، 4/ 235) ويسير معظم النّحاة على نهج إمامهم في تأويل معنى الشرط في هذا الحرف، بعبارة سيبويه نفسها، أو بما يماثلها مثل ما نلاحظه في تقدير المبرّد حين قال: معنى "أمّا " : (مهما يكن من شيء) (المبرّد، 1994م، 2/ 352).

ويعرب الصّبان هذه العبارة التأويلية لشرطية "أمّا" –وهي مبسوطة في معظم كتب النحو– فيقول: "مهما" اسم شرط مبتدأ، وفي خبره خلاف، "يكن" تامة فاعلها ضمير فيها يرجع على "مهما" ويجوز عد "يكن" ناقصة اسمها ضمير ، وخبرها محذوف تقديره "موجودًا" (الصّبان، 1997م، 4/ 62)

ويعلل النحاة لهذا التقدير بـ" مهما " دون الأدوات الشرطية الأخرى بقولهم: إنّ غيرها من الأدوات لا تناسب هذا التقدير، فـ" إنْ" تكون للشرط دون تحقق بوقوعه، والشرط هنا موثوق بوقوعه، وأدوات الشرط الأخرى مخصوصة بمحدد كالمكان في "متى" والزمان في "أيان" و العاقل في "منْ"، والمراد في التأويل لجملة الشرط هنا التعميم وجود شيء ما، وكان الاختيار لـ "مهما" وليس "ما" لأنها أوغل في إرادة التعميم (الخضري، 1998م، 2/ 297)

ولا يقدّر الرضي في "أمّا" أداة الشرط "مهما" بل يختار أن يكون التقدير بأداة الشرط "إنْ" وينبه إلى أنّ التقدير في "أمّا " بـ " مهما" كما ذهب إليه سيبويه لا يعني أنها بمعنى "مهما" ويكمن الاختلاف بينهما أن "أمّا" حرف و"مهما" اسم، فالمقصود مجرد المعنى البحت(الرضي، 1998م،4/ 504) ويسير على هذا الرأي المرادي متوسعًا فيه معلقًا على ناظم الألفية في قوله : (أَمَّا كَمهْما يَكُ مِنْ شَيءٍ .. .) ما ذكر من قوله لا يعني به أنّ معنى "أمّا" كمعنى "مهما " وشرطها؛ لأن "أمّا" حرف فكيف يصح أن تكون بمعنى " اسم وفعل؟ وإنما المراد أن موضعها صالح لهما، وهي قائمة مقامهما؛ لتضمنها معنى الشرط" (المرادي، 2001 م، 1305) وهو ما يأخذ به السيوطي في تحفظه النسبي على عبارة النحاة التأويلية معللًا بما يراه فيقول: " ما ذُكر في معناها هو من حيث صلاحية التقدير، ولا جائز أن يكون مرادفًا له من حيث المعنى؛ لأن معقولية

الحرف مباينة لمعقولية الاسم والفعل فتستحيل المرادفة؛ ولأن في "يكن" ضمير يعود على "مهما" وفي الجواب ضمير يعود على الشرط، وذلك منتفٍ في "أما" (السيوطي، د.ت، 2/ 67)

ويجلو عباس حسن التباين بين "أمّا" و التأويل في جملتها الشرطية بعبارة " مهما يكن من شيء" مشيرًا إلى أن المقصود أنها تقوم مقام هذا العبارة بحيث يصح حذف "أمّا" ووضع هذه العبارة موضعها من غير أن يفسد المعنى (حسن، 506/4)

ويرى أبو حيان أنه يوجد اختلاف في دخول الفاء على جملة "أمّا" والجملة التأويلية (مهما يكن من شيء) فدخول الفاء مع (مهما) لا يكون في كل استخداماتها كقولنا (مهما يكن من شيء لم أبال به) فيمتنع هنا دخول الفاء ولكن دخولها ملزم مع "أمّا" في كل أوضاعها واستخداماتها" (السيوطي، 2/ 76)

ويلاحظ أن قلة من النحاة ذكرت مع معنى الشرط دلالة الإخبار وفسرت هذا بتأويل أوضح مما تناقله جمهور النحاة في عبارتهم التأويلية مع "أمّا"، وهذا ما نكشفه في تصريح المرادي بأن بعض النحاة قالوا: " هي حرف إخبار مضمن معنى الشرط ، فإذ ا قلت: (أمّا زيدٌ فمنطلقٌ) فالأصل: (إن أردت معرفة حال زيد، فزيد منطلق) حذفت أداة الشرط، وفعل الشرط وأنيبت "أمّا" مناب ذلك" (المرادي، 522)

ويبدو لي أن استخدام التأويل من النحاة بعبارة "مهما يكن من شيء" في تفسيرهم لشرطية "أمّا"، يجب التوقف في أمرين: **أولهما**– تحفظ النحاة أنفسهم على جوانب مرتدة في تأويلهم حيث وجدوا أنّ الحرف "أمّا" لا يقوم مقام الاسم "مهما" وحده، ولا يقوم مقامه والفعل معه في عبارة" مهما يكن من شيء" **ثانيهما**– وجود اختلاف في المعنى وصحة الاستخدام في طبيعة الجملتين، فإذا قال أحد الناس مثلًا: (ارتقى أبنائي، فأمّا الابن الأكبر فقد صار طبيبًا، وأمّا الأوسط فقد أصبح رجل أعمال ناجحًا، وأمّا الأصغر فقد صار مهندسًا) ففي هذه الجمل لا يصح أن نستبدل " مهما يكن من شيء" لتحل محل "أمّا". ولذا قال أحد الناس مثلًا: (مهما يكن من شيء فلن أقبل بالضيم والمهانة) ففي هذه الجملة وما ينحو نحوها لا يمكن أن نحذف عبارة " مهما يكن من شيء" لتحل محله الأداة "أمّا"

حجة النحاة في شرطية "أمّا" : بما أن معنى الشرطية في "أمّا" ليس معنى صريحًا مباشرًا، فقد احتاج رأي النحاة في قولهم بشرطيتها إلى دليل، وما ردده أكثرهم من حجة ، واعتدوا به كدليل يكاد أن يكون دليلًا لفظيًا حيث ذكروا أن ما يبرهن على شرطيتها هو وجود الفاء في جوابها، قال سيبويه: " أمّا" فيها معنى الجزاء، ألا ترى أن الفاء لازمة لها أبدًا (سيبويه، 4/ 235) وقال الأشمونّي : معنى الشرط في "أمّا" دليله لزوم الفاء بعده (الأشموني،) وإن كان سيبويه قد ذكر في عبارته السابقة (لزوم الفاء أبدًا) فقد عمّ غيره من النحاة بشكل أدق عندما ذكروا لفظة (غالبًا) في استدلالهم بمجيء الفاء في جواب "أمّا" (الأزهري، د. ت، 2/ 260) وقد استبعد النحاة أنّ تكون هذه الفاء عاطفة؛ ومنطقهم في ذلك أن الفاء لو كانت عاطفة لم تدخل على الخبر حيث يعطف الخبر على مبدئه، كما استبعدوا أن تكون هذه الفاء زائدة، فالحرف الزائد يمكن الاستغناء عنه، ولكن هذه الفاء لا يمكن الاستغناء عنها، ولا عن عطفها الخبر على مبدئه، ومن هذا تعين عندهم أن الفاء للجزاء و "أمّا" للشرط (الأزهري، 260/2). ويرى السيوطي أن هذه الفاء جاءت خارجة عن قياسها حيث لم تجيء رابطة بين جملتين ولا عاطفة مفردًا على مثله (السيوطي، 2/ 67)

و يفحص النحاة موقع هذه الفاء في جملة "أما" في مثل قولنا: (أمّا الكرم فخلقٌ نبيلٌ، وأمّا العفو فطبعٌ حسنٌ) فيلاحظون أن هذه الفاء الواقعة في جواب "أمّا" تدخل على الخبر وليس على المبتدأ، وهذا بخلاف ما معهود في الفاء مع بقية الشرط الأخرى حيث تدخل على المبتدأ مثل قولنا: (إنْ تخلفْ وعدَكَ فأنتَ مخطئٌ) وقالوا :إن انتقال هذه الفاء إلى الخبر لإصلاح

اللفظ، ويوضحون هذه العلة بقولهم:" "أما" فيها معنى الشرط، وأداة الشرط يقع بعدها فعل الشرط ثم الجزاء بعده فلما حُذف فعل الشرط هنا وأداته، وتضمنت "أما" معناهما كرهوا أن يليها الجزاء من غير واسطة بينهما، فقدَّموا أحد جزأي الجواب وجعلوه كالعوض من فعل الشرط" (ابن يعيش، 11/9)

ويسعى الرضي لإزالة الغموض حول شرطيتها من خلال حجة عقلية يفسر فيها التأويل الذي يذكره النحاة في "أما" فيقول: " أصل " أما زيد فقائم" أما يكن من شيء فزيد قائم، يعني: إن يكن، أي: إن يقع في الدنيا قيام شيء يقع قيام زيد، فهذا جزم بوقوع قيامه وقطع به؛ لأنه جعل وقوع قيامه وحصوله لازمًا لوقوع شيء في الدنيا" (الرضي،4/ 504)

وينقل أبو حيان رفض بعض النحاة الزعم بشرطية "أما" قائلًا: " قال بعض أصحابنا لو كانت شرطًا لتوقف جوابها على شرطها مع أنك تقول: (أما علمًا فهو عالم) فهو عالم إن ذكرت العلم أو لم تذكره، بخلاف (إن قام زيد قام عمرو) فقيام عمرو متوقف على قيام زيد ثم ينقل الرد عن بعض النحاة على هذا الاعتراض في شرطية " أما" في قولهم : " قد يجيء الشرط على ما ظاهره عدم التوقف عليه، كقوله: (من كان ذا بَتٍّ فهذا بتي) ألا ترى أن بتَّه موجود كان لغيره بت أم لم يكن " السيوطي، 2/ 67)

ويستوقف أبا حيان ما يصرح به النحاة في عبارتهم " أما" في معنى الشرط حيث لم يقولوا بأنها أداة شرط، وهذه الإفادة الشرطية في "أما" لنيابتها لأداة الشرط وفعله،(الصبان، 4/ 62) ويعرض الصبان تباين الشرطية في " أما" عن بقية أدوات الشرطية، فيقول: الشرط في "أما" لكون القصد منه تحقيق وقوع الجزاء لا محالة، وهذا مخالف لطبيعة أصل أدوات الشرط التي تكون فيها حالة الجزاء مخصصة الشرط دون غيرها. ويبدو بعد هذا للصبان أنه لا توجد ردود على النحاة الذين أنكروا شرطية " أما" (الصبان، 4/ 63)

المبحث الثالث: هيئة "أما" اللفظية، ودلالاتها المعنوية:

كثيرًا ما تستوقف هيئة الأدوات الحرفية والاسمية علماء النحو القدماء، ويكون هذا مثارًا للخلاف والجدل فيما بينهم في بساطة الأداة أو تركيبها، والأمثلة على ذلك عديدة ومتفرقة في أبواب النحو المختلفة، ومنها ما حدث بينهم من اختلاف في تحديد الهيئة اللفظية للحرف "لن" فالخليل والكسائي يقولان بتركيبها وأصلها "لا أن" والسيرافي يقول: المختار إنها غير مركبة، لأن التركيب على خلاف الأصل، فلا تقبل دعواه إلا بدليل، ولا دليل (ابن مالك،،3/ 327) وعلى النهج نفسه استوقفت النحاة هيئة كلمة "أما" اللفظية وهي رباعية الحروف الهجائية، وفيها تشديد لحرف الميم وهي مختومة بـ "ما" وبالرغم من هذا التكوين اللفظي حكم جمهورهم بأنها غير مركبة، بل هي حرف بسيط ،أي: ليس مركبًا من كلمتين أو أكثر(الأشموني، 3/ 269)

وينوّه النحاة إلى أن بعض العرب قد يقلبون الميم الأولى في "أما" ياء استثقالًا للتضعيف، كقول الشاعر عمر بن أبي ربيعة (المبرد،200م،1/ 250):

رأيتُ رَجُ لًا أيما إذا الشمسُ عارضتْ فَيَضْحَى وأيما بالعَشِيِّ فيَخْصُرُ

كما يحترزون بالتفريق بين "أما" البسيطة في تكوينها ذات الدلالات المحددة، وما يشبهها في الصورة اللفظية، وقد تحقق هذا في كلمة " أما" المكونة من "أم" العاطفة و"ما" الاستفهامية عندما يندمجان في النطق والكتابة بعد إدغام الميم في الميم، كالتي في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوا وَقَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل: 84) وكذلك "أمَّا" المكونة من "أنْ" المصدرية، و"ما" الزائدة، وهنا تعد " أمَّا" عوضًا عن "كان" المحذوفة، ويستشهد لها النحاة بقول الشاعر العباس بن مرداس (سيبويه، 1/ 293):

أبا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنتَ ذَا نَفَرٍ فإنّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضبعُ

دلالات "أما" المعنوية:

يردد النحاة ثلاثة معان لـ "أما" هي: الشرطية، و التوكيد، و التفصيل، وقد أوضح الزمخشري دلالة التوكيد في "أما" فقال: فائدة "أما" في الكلام أن تعطيه فضل توكيد، تقول: (زيد ذاهب) فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب، وأنّ منه عزيمة قلت: (أما زيدٌ فذاهبٌ) " (السيوطي، 4/ 68) ويشرح عباس حسن معنى التوكيد في "أما" رابطًا له بمعناها الشرطي حيث يقول: " ولإيضاح التوكيد نذكر أن من يقول: (محمدٌ عالِم) يقصد إثبات العلم لمحمد ونسبته إليه، بغير تأكيد ولا تقوية . فإذا أراد أن يمنح المعنى فضل تأكيد، ومزيدًا من التقوية أتى بكلمة "أما" قائلًا:(أما محمدٌ فعالِم) وسبب التأكيد والتقوية في هذا أنه يريد:(مهما يكن من شيء فمحمدٌ عالم) فقد علّق وجود علمه على وجود شيء أي شيء، أي آخر، بمعنى أن وجود العلم مترتب ومتوقف على وجود شيء يقع في الكون، ولّما كان من المحقّق المؤكّد وقوع شيء حتمًا ، كان من المحقق –ادعاءً–كذلك وقوع ما يترتب عليه وهو (العلم) لأن تحقق السبب وحصوله لابد أن يتبعه تحقق المسبب عنه وحصوله على سبيل التحتيم" (حسن، 4/ 505)

والمعنى الثالث لـ " أما" هو التفصيل، وهو المعنى الذي تُذكر فيه الأقسام، والأفراد المختلفة المتعددة لشيء مجمل، ويرى ابن هشام أن هذا المعنى هو الأغلب في أحوال استعمالها، ويستدل على ذلك بتكرارها في أسلوب جملتها، مثل قوله تعالى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82) (الكهف) ويوضح ابن هشام أن هذا التكرار قد يترك استغناء بذكر أحد القسمين عن الآخر، أو بكلام يذكر بعدها في موضع ذلك القسم، ففي قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ (النساء: 175) فـ "أما" لم تكرر بسبب حذف القسم الثاني، وهو مفهوم في ذهن المتلقي، بتقدير" فأما الذين كفروا بالله فلهم كذا، وكذا" وفي قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 7) فكلمة (الراسخون في العلم) التي ذكرت بعد جملة "أما" أفهمت المقصود في قسم التفصيل الذي لم تكرار فيه "أما" والمعنى:" وأما الراسخون في العلم فيقولون" (ابن هشام،69)

و يبدو أن طريقة الاستغناء عن تكرار "أما" التفصيلية ليست محصورة بالكيفية التي وردت في قول النحاة السابق: بأنه قد يترك تكرار "أما" استغناء بذكر أحد القسمين عن الآخر، أو بكلام يذكر بعدها في موضع ذلك القسم، وليس الاستغناء عن تكرار "أما" محصورًا بحذف قسمها الثاني الذي تسقط معه، كما جاء في عرض أمثلتهم السابقة، فعندما ننظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن: 15) فـ "أما" المذكورة في هذه الآية هي "أما" التفصيلية، وقد ذكرت في القسم الثاني من التفصيل ويدل على هذا وجود الواو قبلها، والقسم الأول من التفصيل مذكور، دون أن تذكر معه "أما" وهو قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (الجن:14) فالمعنى– والله أعلم– فأما من أسلم ... وقد جاءت من صاحب " النحو الوافي" إشارة موفقة إلى حذف "أما" المكررة والشيء المفصَّل معها، حيث وضّح أن الدلالة

على التفصيل المحذو ف يدل عليه وعلى "أما" السياق والقرائن، نحو: (الناسُ معادنٌ فأما أنفَسُها وأغلاها فالأخيارُ) التقدير من السياق: وأما أخسُها وأرخصُها فالأشرار (حسن،4/ 505)

وباستقراء استعمال "أما" بمعنى التفصيل الذي ذكره النحاة نجده قد ورد في اثنتين وعشرين آية، وكانت "أما" مكررة، إلا في ثلاث آيات، توقف النحاة في آيتين منها لتوضيح الحذف لـ "أما" مع قسمها. ويستنبط من هذا أن معناها الأساس والمباشر هو التفصيل، و إذا نظرنا إلى أنواع التفصيل في الآيات القرآنية فسوف نجده كثيرًا ما يكون لقسمين من الناس، هم: المؤمنون والـ كافرون، وقد يكون التفصيل لمجموعتين من مجموعات الناس الهالكة، وهم: (عاد) و (ثمود)، وقد يكون قِسْما التفصيل فردين من الناس، كالذي جاء في قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ (يوسف: 41) وقد اتضح التفصيل بـ "أما" لأقسام متنوعة كما في قصة الخضر مع يوسف عليه السلام في الآية المذكورة من قبل.

ويدل هذا الاستقراء لاستخدام "أما" في القرآن أن دلالتها على التفصيل هو الغرض الأوضح، وهذا ما يؤكده قول صاحب التصريح: ويدل على معنى التفصيل في "أما" استقراء مواقعها، حيث لا يكاد يعثر عليها إلا مردفة بأخرى مثلها معطوفة عليها، وهو معنى لا تدل عليه الأداة الشرطية "مهما" (الأزهري 2/ 261، 262)

ويتبين عند البحث عن معنى الشرطية في جملة "أما" التفصيلية، في الآيات القرآنية أن معنى الشرطية لا وجود له، وأن تقدير هذا المعنى بتأويل عبارة " مهما يكن من شيء" يعقّد معاني الألفاظ الظاهرة بإقحام عبارات غامضة مؤولة. وعليه يكون من الأفضل عدم البحث عن معنى الشرطية أو بتوهم وجوده ممزوجًا مع دلالة "أما" التفصيلية.

ويتبين للمتابع لأقوال النحاة في معاني "أما" المذكورة: الشرط، والتفصيل، والتوكيد، أن أقوالهم كانت متفاوتة في تحديد الأكثر منها استخداماً وما هو أقل، فبعض النحاة يذكر معنى التفصيل أولا ثم ينتقل منه إلى الإشارة إلى معنى الشرطية، وهذا ما نلحظه عند ابن عقيل عند شرحه لبيت ابن مالك في "أما" الذي قال فيه:

أَمَّا كَمُهْمَا يَكُ مِنْ شَيءٍ وَفَا لِتَلْوِ تِلْوَهَا وُجُوبًا أُلِفَا

فابن عقيل يشرحه بقوله:" "أما" حرف تفصيل، وهي قائمة مقام أداة الشرط، وفعل الشرط" وعندما يشرح هذا البيت المرادي فلا نجد عنده ذكرًا إلا لمعنى الشرطية(المرادي، 1305) أما الأشموني في شرحه لهذا البيت فإنه يقدم معنى الشرطية ثم يذكر بعدها معنى التفصيل والتوكيد، ولكنه يقول في شرحه للبيت الثاني: التفصيل هو غالب أحوال "أما"، والتوكيد قلّ من ذكره مع معاني "أما" (الأشموني، 3/ 267،296) ويقو ل الخضري في تعليقه على هذه المعاني: "أما" حرف تفصيل غالبًا لا دائمًا(الخضري، 2/ 297) ويذكر صاحب "الجنى الداني" أن كثيرًا من النحاة لم يذكروا لـ "أما" غير معنى الشرطية (المرادي، 1306)

ويوضح عباس حسن أن الدلالة على معنى الشرطية، والتوكيد دلالة متلازمة، فلا يخلو استعمال لـ "أما" من هاتين الدلالتين المتلازمتين، وقد تقتصر عليهما، وغالبًا أن تدل معهما على التوكيد (حسن، 4/505،504)

ويذهب بعض النحا ة إلى القول بأنّ "أما" قد تأتي لغير تفصيل، وتمثيلهم لهذا جملة: (أما زيدٌ فمنطلق) ويرد بعض آخر من النحاة فيقول بوجود التفصيل في هذه الجملة ، فهي لا تقال إلا عند التردد عند شخصين نسب إليهما الانطلاق، فيقول المدرك للحقيقة : (أما زيد فمنطلقٌ) ويفهم المقصود من كلامه أما غيره فلا. وهكذا تكون دالة على التفصيل في هذه الجملة (الخضري، 2/ 297)

الاختلاف الدلالي بين "أمـا" و"إمّا": ثمة تقارب بين هاتين اللفظتين، ليس من الناحية اللفظية فحسب، ولكن من الناحية الأسلوبية أيضًا، إذ يستخدم كل منهما مكررًا في جملته، بيد أنه تفرق بينهما اختلافات دلالية دقيقة، حرص اللغويون والنحاة على استنباطها، فقالوا: إذا كنت آمرًا ، أو ناهيًا، أو مخبرًا فالهمزة مفتوحة، مثل: (أما الله فاعبدْه، وأما الخمرَ فلا تشربْها، وأما زيدٌ فقد قام) وإذا كنت مشترطًا أو شاكًا، أو مخيِّرًا، فالهمزة مكسورة مثل: فمثال الشرط: (إمّا تشتمنّ فإنه يحلُم عنك) ومثال الشك: (لا أدري من قام، إمّا زيدٌ، وإمّا عمرٌو) ومثال التخيير: (تعلّم إمّا الفقه وإمّا النحو) (ابن منظور، د، ت، 122/1) ويبدو من هذه المقارنة بين دلالة اللفظتين أن اللغة العربية وظّفت الأداة "إمّا" (وهي حرف مكّون من "إنْ" الشرطية و"ما" الزائدة) لأداء معنى الشرطية، بما لا يحمل ليسًا أو غموضًا، ولا يحتاج إلى تأويل أو تقدير، وهو ما يوضحه استخدام القرآن في آيات متعددة كقوله تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف: 31)

المبحث الرابع: أسلوبية تركيب جملة "أمّا":

وضح النحاة بالتفصيل السمة التركيبية لجملة "أمّا" والمكونات لنظامها الأسلوبي، فبيّنوا أنّ ما يعقبها مباشرة في التركيب هو الاسم، ولا يمكن أن يليها الفعل، وهذا بخلاف كل أدوات الشرط التي يذكر بعدها فعل الشرط. وتعليل هذا الأمر عندهم، أنها لما قُدّرت بجملة (مهما يكن...) وقُدّر لها جواب، تعذر أن يليها الفعل، لأن فعل الشرط محذوف فلا يأتي فعل بعد ذلك إلا في الجواب لأن فعل الشرط لا يليه فعل، والفرض أن الجواب هو ما بعد الفاء وهو الممكن أن يكون فيه الفعل (السيوطي، 2/ 68) ويقول الرضي في تفسير امتناع أن يقع بين "أمّا" وفائها جملة تامة مستقلة نحو (أمّا زيدٌ قائم، فعمرو بعده) فالواقع بينهما جزء الجزاء، المقصود كونه ملزومًا للحكم الذي تضمنه ما بعد الفاء، فلا يكون جملة مستقلة (الرضي، 4/ 507) واستثنوا في هذا الأمر الفصل بالجملة الدعائية بشرط أن يتقدم عليها فاصل يفصل بينهما، مثل : (أمّا اليوم – وفقك الله– فالأمر كذلك) (المرادي، ص 524)

كما أوضحوا –في اعتقادهم بشرطيتها– أن المذكور بعدها هو جواب شرطها، وهذا الجواب لابد أن يقترن بالفاء، وتأتي هذه الفاء بعد الفاصل المحتم وجوده بين " أمّا" وجوابها، ومثاله قوله تعالى:﴿ ... فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (الرعد: 17) والحكم النحوي لهذه الفاء أنها تلازم وجوبًا جواب " أمّا" ولا يجوز حذفها في النثر إلا إذا دخلت على مقول محذوف، كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (آل عمران: 106) فالأصل في هذه الآية بتقدير المحذوف: (فيقال لهم أكفرتم...) حيث حذفت الفاء مع لفظ القول، وتحذف هذه الفاء ضرورة شعرية، ويستشهد لها النحاة بقول الشاعر الحارث بن خالد المخزومي (ابن هشام:

أما القتالُ لا قتالَ لديكم ولكنْ سَيْرًا في عِراضِ المَواكِبِ

فالشاعر حذف هذا الفاء من جواب "أمّا" بسبب الضرورة الشعرية، والقاعدة تقتضي أن يقول :(فلا قتال...) ويبين النحاة في دراستهم لتركيب جملة "أمّا" أنها قد تُحذف من جملتها لوجود قرينة تدلّ عليها فتقدّر في المعنى، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ (المدثر: 3–6)

فالدليل على حذفها في هذه الآيات هو وجود الفاء التي لا مسوغ لها إلا جواب "أمّا" المقدّرة، كما أن التنويع في السياق يدل على حذفها (حسن، 4/ 509، 510)

واستقصى النحاة في دراستهم لأسلوبية تركيب "أما" أجزاء الجملة الجوابية التي تفصل بين "أما" والفاء، فحددوا هذه الأمور:

1-المبتدأ، كقول الشخص الشريف: (أما الخيانةُ فليستْ من طبعي، وأما الخداعُ فما لا تقبلُه نفسي).

2- الخبر، مثل قولنا: (أما في ميدان القتالِ فالرجالُ الشجعانُ، وأما فيالمعامل فالعلماءُ المبدعون)

3- الجملة الشرطية وحدها دون جوابها مثل قوله تعالى:﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (89) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92)فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ (الواقعة) فهنا تم الاستغناء عن جواب الشرط الواقع قبل الفاء بجواب "أما". وتُظهر دراسة النحاة لأسلوبية جملة "أما" أنها أخذت الحيز الأكبر في عرضهم لأحكامها، وقد جاء استقرائهم للصور المختلفة في استخداماتها، ولكن هذه الدراسة الأسلوبية من النحاة ليست ذات صلة واضحة بمعنى الشرطية في هذا الحرف، فبقي هذا المعنى الشرطي غامضًا كما هو.

الخاتمة والنتائج والتوصيات : افترضت هذه الدراسة أن معنى الشرطية في الحرف "أما" محاط بالغموض والإبهام، وعليه كان محور البحث وهدفه الأول التثبت من معنى الشرطية في الحرف "أما" بتأكيده أو رده، وللنظر في هذا الموضوع ،درست الورقة من خلال مبحثها الأول أدوات الشرط والمعاني المرتبطة بها، ثم تناولت في مبحثها الثاني إدراج النحاة لـ "أما" ضمن أدوات الشرط ، والحجة التي استندوا عليها، أما المبحث الثالث، فقد فصّل في التكوين اللفظي لـ "أما" ودلالتها المعنوية التي تفيدها في الجملة.وتناول المبحث الأخير دراسة النحاة لأسلوبية جملة "أما".

النتائج:

1. جمع النحاة من استقراء اللغة مجموعة الأدوات الشرطية سواء أكانت جازمة أم غير جازمة، وحددوا سمات أسلوب الشرط المعنوية والتركيبية، بما يقنع بتحديد أدوات الشرط في المعنى الشرطي دون ليس مع غيره من المعاني.
2. حدث الغموض في المعنى الشرطي مع أداة واحدة هي "أما" التي أقحمها النحاة مع أدوات الشرط بافتراض إنابتها عن أداة الشرط، وفعله المحذوفان دائمًا.

-من جوانب اختلاف "أما" عن أدوات الشرط الأخرى أنها لا تعرب أداة شرط، بل تعرب حرفًا في معنى الشرط.

3. العبارة التأويلية التي يقول النحاة بأن الأداة "أما" قامت مقامها ونابت عنها هي "مهما يكن من شيء" وهذه عبارة تخيلية تولدت من الصنعة النحوية وتشتمل على عمومية، مما يجعلها بعيدة عن خاطرة ذهن المتكلم في استخدامه للجملة الشرطية، وتكون بهذا سببًا من أسباب زيادة غموض معنى الشرطية في "أما".
4. مما يضعف فكرة الشرطية في "أما" -كما يقول بعض النحاة- أنها إذا حذفت تبقى جملتها على سلامتها وصحتها اللغوية، بينما تعد أدوات الشرط رابطة بين جزأي الشرط، فإذا حذفت تفككت الجملة الشرطية.
5. تعد الأدوات الشرطية روابط في التعليق بين جملتي الشرط والجزاء، وهو أمر مفقود في "أما" حيث لا يوجد من ظاهر الجملة تعلق بين جملتين يقصده المتكلم في تركيب "أما".
6. لم يبرهن جمهور النحاة على قولهم بشرطية "أما" بدليل معنوي بل اعتمدوا على تحليلهم بأن هذه الفاء الملازمة لتالي تاليها هي الفاء الرابطة بين جزأي الجملة الشرطية.
7. يبّين استقراء النصوص القرآنية الواردة فيها "أما" دلالتها على التفصيل وهو معنى يذكره كثير من النحاة، ويكشفه استخدامها مكررة غالبًا .ويقبل الذوق اللغوي أن تكون "أما" مستخدمة للتوكيد كدلالة ملازمة لها مع دلالة التفصيل.

8. استنبط النحاة مكونات جملة "أما" والترتيب بين هذه المكونات فوضحوا موقع الفاء والفواصل التي تكون بين "أما" وهذه الفاء، و لكن هذه الدراسة الأسلوبية لجملة "أما" ليست ذات صلة بالمعنى الشرطي فيها، فبقى هذا المعنى غامضًا كما هو.

التوصيات:

أولا- إعادة النظر في إدراج "أما" ضمن أدوات الشرط؛ لغموض المعنى الشرطي فيها، وربما عدم سلامته.

ثانيا- الأخذ بإعراب "أما" حرف تفصيل، وليس حرف شرط.

ثالثًا- الأخذ في الاعتبار المعاني الثانوية التي تفيدها "أما" في السياق كمعنى التوكيد، وعده معنى ملازمًا لمعنى التفصيل.

قائمة المصادر والمراجع:

1-الأزهريّ، خالد (د.ت.شرح التّصريح على التّوضيح على ألفية ابن مالك: دار الفكر، بيروت).

2-الأشموني، أبو الحسن نور الدين(1998م،شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت)

3-الرضي، محمد بن الحسن الأستراباذيّ (1998م،شرح كافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت).

4-سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(د.ت، الكتاب، تحقيق : عبد السلام هارون ،دار الجيل، بيروت)

5-السّيوطي الحافظ جلال الدين (د. ت، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، دار المعرفة، بيروت)

6-الصّبّان محمد بن علي الصبان (1997م ،حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت)

7-الخضريّ، محمد بن مصطفى(1998م، حاشية الخضريّ على شرح ابن عقيل، دار الكتب العلمية ، بيروت)

8-حسن، عباس (د.ت، النحو الوافي، دار المعارف ، القاهرة)

9-ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله بن عبدالرحمن(2009م ، شرح ألفية ابن مالك تحقيق : محمد محيي الدين، دار الطّلائع، القاهرة)

10-عيد، محمد (2009م ،النّحو المصفّى، عالم الكتب، ط2، القاهرة)

11- السامرائي، فاضل صالح(1999، معاني النحو، ط1، دار الفكر، عمان)

12-المبرد، أبو العباس محمد (1994م، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة)

13-ابن مالك جمال الّدين محمد بن عبد الله(2001م ، شرح التّسهيل وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت)

14- المرادي، الحسن بن القاسم (1992 م، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت)

15- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل (د.ت، لسان العرب ، تحقيق: عبدالله علي كبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة).

16- ابن يعيش، موفق الدين بن يعيش (د. ت، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت)